مفهوم المجتمع المدني

لقد ارتبط ظهور مصطلح المجتمع المدني بالموازاة مع ظهور نظريات العقد الاجتماعي لاسيما في القرن الثامن عشر خاصة في أوربا ليندثر هذا الاهتمام مع بداية القرن العشرين، حينما سادت العديد من الدكتاتوريات في العالم نتيجة الحربين العالميتين، لكن تحولت الأمور فيما بعد ليعود مصطلح المجتمع المدني إلى البروز وبقوة في العقد الأخير من القرن العشرين، أين أصبح يلعب الدور الكبير في ترسيخ العملية الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان، بل وقد وصل الأمر بالمجتمع المدني إلى حد فرض الرقابة على أعمال ونشاطات الحكومات في الدول المتقدمة، ولذلك كان من المفروض أن يكون المجتمع المدني معارضا في الأساس للسلطة، لا أن يكون المجتمع المدني مشكلا من الطبقات البرجوازية التي تكون دائما في تحالف مع الدولة بغرض تحقيق مصالحها.[1]

لا يختلف اثنان على أنّ معظم إن لم نقل كل المؤسسات العالمية والأكاديمية قد اتفقت على أنّ الحكم الرشيد لا يخرج إطلاقا عن فكرة إشراك كل من القطاع الخاص والمجتمع المدني إلى جانب الحكومة في عملية اتخاذ القرارات، إلى غاية مراقبة تنفيذها مع حق الاعتراض عليها، ولكن ما يطرح العديد من التساؤلات هو طبيعة هذا المجتمع وتوجهاته وأهدافه، ودرجة الوعي والثقافة السياسية التي يمتلكها، أو التي يفترض أن تتوفر فيه.

فحسب الفكر العالمي الحديث إنّ المجتمع المدني في حقيقة الأمر يجب أن يصل إلى مرحلة المسير الفعلي لشؤون الدولة وفي شتى المجالات، ولهذا السبب نجد أنّ الرئيس الأمريكي أبراهام لينكولن يعترف بهذا الأمر من خلال ما قاله عام 1863 إبان الحرب الأهلية في أمريكا: " ... حكومة الشعب بالشعب ومن أجل الشعب..." وهكذا تكون مسألة إشراك الجماهير وسماع أصواتها بمثابة اللبنة الأولى للحكم الرشيد، أما أن تكون مجرد شعارات فلا أساس للحكم الرشيد في هذه الحالة على الإطلاق.[2]

وبما أنّ الحكم الرشيد مرتبط ارتباطا وثيقا بالمشاركة الشعبية، فإنّه لا أساس للحكم الرشيد في ظل الأوتوقراطية أو حكم الفرد مهما كان مستنيرا، ولا حكم رشيد في ظل

---

[1]- Roger Scruton, op. cit, P 99.

[2]- Rober t S . Barker, Accountability in Government and its limites - ,Issues of Democracy, IIP **Electronic Journals of the U . S . department of state** ,Vol. 5, No. 2, August 2000, p 2. And 6.

الشمولية، فالمجتمع المدني يقوم جنبا إلى جنب مع مؤسسات الدولة، حتى وإن كان في الأساس مضادا لها أو لوجودها فهو مطالب بالقيام بدوره الرقابي والمساءلة العامة، وتقويم السياسات الخاطئة عن طريق المعارضة البناءة والايجابية.[3]

إنها الديمقراطية التي تعني في أسمى معانيها التمكين الشعبي، وعلى سبيل المثال ظهرت الديمقراطية في أثينا على يد ثوسيديد Thucydide الذي حدد بوضوح مفهوم الديمقراطية ومُثُلَها العليا عند الأثينيين، ليطبق المنهج الديمقراطي على أرض الواقع الحاكم المستنير بركليس Percles والذي أصبح يطلق عليه لقب الأب الروحي للديمقراطية، وقد ألقى خطبة أشهر ما قال فيها " **إنّ المواطن الأثيني لا يهمل شؤون الدولة بحجة انشغاله بشؤون أسرته، بل إنّ المنهمكين منا في أعمالهم لا تنقصهم الفكرة السليمة عن الشؤون السياسية.**"[4]

وقد اختلف المفكِّرون وأصحاب النظريّات في وضع تعريف محدّد للمجتمع المدنيّ، كما اختلفوا في تحديد مفهومه وطبيعته ودوره. ولمزيد من الإيضاح نورِد أبرز التصوّرات المُساقة لتشخيص هذا المجتمع .

ومن أبرز التعريفات التي قدمت للمجتمع المدني ما طرحه روجيه سو في كتابه الموسوم بـ : " المجتمع المدني في مواجهة السلطة حين عرفه بأنّه: « **المجتمع الّذي يقوم على المؤسّسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعمل في ميادينها المختلفة في استقلال نسبي عن سلطة الدولة؛ لتحقيق أغراض متعدِّدة ...**». ويُعرِّف آخرون المجتمع المدنيّ بأنّه المجتمع الّذي يتلاشى فيه دور السّلطة إلى المستوى الّذي يتقدّم فيه دور المجتمع على دور الدولة، بل ويذهب فريق آخر إلى اعتبار السّلطة وجوداً معارضاً ومواجهاً لوجود الدولة، لذا

---

[3] ــ عبد الله بوصنوبرة، المجتمع المدني والمشاركة الشعبية: الضمان لترشيد الحكم، **الملتقى الدولي حول: الحكم الرشيد واستراتيجيات التغيير في العالم النامي**، المنعقد بجامعة سطيف يومي 08، 09، 2007، مطبعو إقرأ، قسنطينة، ص ص 153- 154.

[4] . ياسين فوزي بوللوى، **محاضرات في الفكر السياسي**، ط 1، (الجزائر: دار قرطبة)، 2008. ص ص 12 . 17. نقلا عن: جورج سباين، **تطور الفكر السياسي**، ترجمة حسن بلال العروسي، الجزء الأول، (القاهرة: دار المعارف)، ص 18.